

البيان والتبيين

المنزل فاستراح وأراح ولم أقدر على البراح حتى وافاني المكارى فقلت هذه واحدة فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شيء نركبه فكنا نمشي فاذا أعياءاً على العصا وربما احضر ووضع العصا على وجه الأرض فاعتمد عليها ومر كأنه سهم والح حتى انتهينا إلى المنزل وقد تفسخت من الكلال وإذا فيه فضل كبير فقلت هذه ثانية فلما كان في اليوم الثالث ونحن نمشي في أرض ذات أخاقيق وصدوع إذ هجمنا على حية منكرة فساورتنا فلم تكن عندي حيلة إلا خذلانه وإسلامه إليها والهرب منها فضربها بالعصا فثقلت فلما بهشت له ورفعت صدرها ضربها حتى وقذها ثم ضربها حتى قتلها قلت هذه ثالثة وهي أعظمهن فلمنا خرجنا في اليوم الرابع قرمت وإلى اللحم وأنا هارب معدم إذا أرنب قد اعترضت فحذفها فما شعرت وإلا وهي معلقة وأدركنا ذكاتها فقلت هذه رابعة وأقبلت عليه فقلت له لو أن عندنا ناراً لما أخرجت أكلها إلى المنزل قال فإن عندك ناراً فأخرج عويداً من مزوده ثم حكه بالعصا فأورت أيراً ألمخ والعقار عنده لا شيء ثم جمع ما قدر عليه من الغناء والحشيش وأوقد ناره وألقى الأرنب في جوفها فأخرجناها وقد لزق بها من الرماد والتراب ما نغصها إلى فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جنوبها وأعراضها ضرباً رقيقاً حتى انتثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس فقلت هذه خامسة ثم إننا نزلنا ببعض الخانات وإذا البيوت ملأى روثاً وتراباً ونزلنا بعقب جند وخراب متقدم فلم نجد موضعاً نظل فيه فنظر إلى حديقة مسحاة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نصاً بها لها ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض بها جرداً حتى ظهر بياضها وطابت ريحها فقلت هذه سادسة وعلى أي حال لم تطب نفسي أن أضع طعامي وثيابي على تلك الأرض فنزع وإلى العصا من حديد المسحاة فوتدها في الحائط وعلق ثيابي عليها فقلت هذه سابعة فلما صرت إلى مفرق الطرق وأردت مفارقتها قال لي لو عدلت معي فبت عندي كنت قد قضيت حق الصحبة والمنزل قريب فعدلت معه فأدخلني في منزل يتصل ببيعه قال فما زال يحدثني ويطرفني ويلطفني الليل كله فلما كان السحر أخذ خشبة ثم أخرج تلك العصا بعينها